Journal of Arabic
Language and Literature
Volume (1), Issue (5) : 30 Dec 2022
P: 76 - 85

ISSN: 2790-7317

مجلة اللغة العربية وآدابها
المجلد (1)، العدد (5) : 30 ديسمبر 2022 م
ص: 76 - 85

Vocabulary Semantic Displacement and Development of Linguistic Performance

Khawla Mahmoud Alasaad

Mahmoud Rajaa Nawafleh

College of Literatures and Languages || Jadara University || Jordan

Abstract: The study reveals the side of semantic displacement in language and shows vocabulary displacement to it. To achieve this, the study consisted of an introduction about the semantic displacement and its names since it is a linguistic phenomenon and a metaphor in order to emphasize and establish the meaning, and trace the deep meaning of displacement in the context and in the whole text, three themes: the first one was devoted to semantic change in the phenomenon of negativity or positivity and its reality is the opposite, tracing the deep effect to bring the semantic inspiration resulted from this certified constructed composition in choosing vocabulary in a special certain context. The second theme was displacement in the legal texts, tracing models from the holly Quran and showing the aesthetic of deep rhetoric usage to show inimitability of the holly Quran and distinguish its structures, and models of Sunna of the Prophet. The third theme was devoted to the internal and external factors of displacement, their discussion and giving models to explain them. Finally came the conclusion, result, margins list and sources and references list.

Keywords: Displacement, semantic, change, phenomenon, reality, metaphor.

الانزياح الدلالي للمفردات وتطور الأداء اللغوي

خولة محمود الأسعد

محمود رجاء نوافلة

كلية الآداب واللغات || جامعة جدارا || الأردن

المستخلص: تكشف الدراسة عن جانب الانحراف الدلالي في اللغة وبيان انزياح المفردات السياقي لها، ولتحقيق ذلك: جاء البحث مكونا من مقدمة: عن الانحراف الدلالي ومسمياته بصفته ظاهرة لغوية ومنحى من مناحي المجاز لتأكيد المعنى وترسيخه، وتتبع المعنى العميق للانزياح في السياق وفي النص كاملا. وثلاثة محاور، خصص المحور الأول: للتغير الدلالي فيما ظاهره السلب، أو الإيجاب وحقيقته العكس، وتلمس الأثر العميق لإضفاء الإيحاء الدلالي المتولد لهذا التركيب البنائي المعتمد على اختيار المفردات في سياق محدد خاص. والمحور الثاني: للانزياح في النصوص الشرعية، وتتبع نماذج من القرآن الكريم، وبيان جمالية الاستخدام البلاغي العميق ليوضح إعجاز القرآن وتميّز تراكيبه، ووقفة مع نماذج من أقوال السنة النبوية والوقوف على أمثلة منها. والمحور الثالث: لعوامل الانزياح الداخلية والخارجية، ومناقشتها والتمثيل لنماذج موضحة لها. وخاتمة، ونتيجة، وقائمة هوامش وقائمة بالمصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية: انزياح، دلالة، تغير، ظاهرة، حقيقة، مجاز.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام والمرسلين من بُعث رحمة للعالمين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، هذا بحث يبرز جانباً من جوانب عبقرية اللغة العربية في الانحراف الدلالي، ويتكون من مقدمة

توضح وجودهذه الظاهرة، التي كشفت الدراسات اللغوية الحديثة عن وجودها كظاهرة متزامنة مع وجود اللغة العربية، وإن لم يسمِّ القدماء هذه الظاهرة بمصطلح العصر " الانزياح الدلالي"، ثم ثلاثة محاور خصص المحور الأول: للتغير الدلالي في ما ظاهره السلب أو الإيجاب، وحقيقته العكس، وخصص المحور الثاني: للانزياح في النصوص الشرعية، وخصص المحور الثالث: لعوامل الانزياح الدلالي، ثم خاتمة، ونتيجة أبرزت تزامن ظاهرة الانزياح مع وجود اللغة وتمحورها لتمثلات دلالية متعددة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

المحور الأول: التغير الدلالي في ما ظاهره السلب، أو الإيجاب وحقيقته العكس.

أ- **الأصل في دلالة الألفاظ:** الأصل في دلالة الألفاظ على معانيها، أن تدل الألفاظ على ما وضعت له من معنى في السلب والإيجاب، وهو المعنى الظاهر، ما لم ترد قرينة صارفة عنه، فلا أسود يدل على أبيض، ولا طويل يدل على قصير، ولا عالم يدل على جاهل وهكذا، واللغات كلها تتفق على هذه الحدود، بيد أن اللغات تتباين في سعتها، وأساليبها، وفنونها، وعلى قدر هذا التباين تأتي الانزياحات، وعلى قدر ثقافة الفرد، ورصيده اللغوي تؤول هذه الانزياحات وترد إلى نصابها، ويبقى الظاهر هو الأصل في دلالة الألفاظ [1] مالم تكن قرينة صارفة، كما تصرف الحقيقة إلى المجاز، ولكننا لا نقصد في أصل الدلالة أن ننحى المنحى البلاغي الصِّرف، كي نقع في حيص بيص أيهما أبلغ: الحقيقة أم المجاز؟ وأيهما الفرع وأيهما الأصل؟ فنحن نقف عند الأصل في دلالة الألفاظ وهي أن تدل على ما وضعت له عند أصل اللفظ، وأما الانحرافات الأخرى عن الأصل، فلها شأن آخر يقع تحت تأثير المجتمع، والعادات والتقاليد الاجتماعية، والبيئة الجغرافية، والنواحي النفسية، وفي كثير من الأحوال يكشف السياق عن أكثر جوانب الانحراف الدلالي، والألفاظ لها معانٍ مركزية، أو مفهومية، [2] أو إدراكية، Conceptual meaning، [3] وهي القريبة من الأذهان، أو أول ما يتبادر إلى الذهن من معنى عند إطلاق اللفظ، فلو قلت: كحَّلت هندٌ عينها، فالعين هي العضو المعروف في الجسم، بخلاف قولك: هندٌ عين على الأعداء، وعين الله تحرسكم، وتفجرت عيون الأرض، ونحو ذلك، فأصبحت الاستخدامات المذكورة لكلمة عين مشتركات لفظية، دلالتها المركزية العين الحقيقية، ودلالاتها التي انحرفت إليها، وليس بالضرورة أن تكون مجازية كما يتراءى لكثير من اللغويين القدامى، وهذا ما تكشف عنه فقرات لاحقة.

ب- **تشكل المعنى:** يتشكل المعنى من خلال اللفظ، وما يدل عليه، ورابط بينهما(السياق الدلالي)، وهذا إطار عام، لا خلاف عليه من حيث إن هذه مكونات المعنى، ولكن الخلاف في الربط، فالرابط عند أهل اللغة في اليونان_كما يشير السيوطي _ طبيعي، بمعنى أن اللفظ يدل على معناه بشكل تلازمي طبيعي[4]، وهذا يعني أن إطلاق اللفظ، يستدعي المعنى، والمعنى موجود في العالم الخارجي يكون جاهزاً بمجرد إطلاق اللفظ، وأوقعوا تحت ذلك افتراضات كثيرة يبدو أنها من سحر الكلمة، فالمعنى يناسب اللفظ من حيث شدة أصوات الكلمة أو رخاوتها، وتأثر بهذا الفكر عن الجانب العربي ابن جنى والصيمري[5] ومثّل الصيمري لكلمة "إذغاغ" وهي حجر في الفارسية، وقال: ألا ترى يبساَ في هذا اللفظ، وما يقابله من يبس في المعنى؟ والشيء نفسه عند ابن جنى عندما تحدث عن الاشتقاق الصوتي، فصوت الكلمة يدل على معناها، ومثّل لذلك لعدد من أسماء الأصوات التي تستخدم لزجر الدابة، كما في هِج، وأخِّ، وتخِّ، ونخِّ، وحيهلن[6]، وأظن أن الصيمري وابن جنى قد استمدا هذا الفكر من الجاحظ، فقد نحا الأخيران منحى الجاحظ، عندما تحدث عن علاقة اللفظ بالمعنى من حيث طبيعة اللفظ، فالمعنى يتواءم مع اللفظ، من حيث القساوة والسلب والإيجاب، فالكلمات: خراب، خيانة، خمر، خنزير، خسف، خوف، خذلان، خزي، خيبة، خرق، خنوع، خيلاء، خيل، خطأ، خطف، كلها سلب وتدل على سلب [7] والمعتقد الذي يجمع الصيمري، وابن جنى، والجاحظ أن ثلاثتهم من المعتزلة، ويؤمنون بأن الكلمة من مخلوقات الله،

ليتساوى ذلك مع فكرة أن المعنى في العالم الخارجي يستدعى بوساطة اللفظ الدال عليه، وبذلك قبضة شديدة وتقييد للكلمة، فلا انزياح لها، ولا معنى لها غير الأولي أو الإدراكي المباشر، وعن الجانب الهندي فإن للنفس أثراً في تحديد معنى الكلمة ولديهم معنى عام، وكيفية، وذات، وحدث، تخرج في إطار نفسي، [8] وأما العرب فالرابط بين المعنى واللفظ هو ثقافة الفرد، وتحدثوا عن السياق وأثره في تحديد المعنى، وربطه باللفظ، وأطلقوا العنان للمجاز، في مقابل تقييد للكلمة عن الانزياح عند اليونان، وأما الأمريكان والأوروبيون فلم تكن لهم رؤية علمية واضحة عن ذلك إلا في القرن التاسع عشر، على يد اللغوي الفرنسي ميشال بريال الذي أطلق على الدلالة لفظ "علم الدلالة" واعتبر الدلالة من رحم اللغة، واعتبر اللفظ يجول بين الحقيقة والمجاز، وينحرف ويرتقي، وينحط، ويكتسب معنى جديداً، ويفقد معنى، ويحيا ويموت وهذا كله يضعنا بصورة الانحراف الدلالي، وما يؤول إليه، فينقلب الإيجاب سلباً، والسلب إيجاباً.

ج- **مناحي الانزياح الدلالي:** ذكرنا في الفقرتين السابقتين أن اللفظ يبقى في المعنى الأولى، أو الإدراكي، أو المفهومي ما دام محدداً بظاهره، فلا مجاز ولا انحراف أو انزياح عن الأصل، بيد أن الألفاظ لا يمكن أن توضع في مادة حافظة، لا تغيير ولا ارتقاء ولا انحطاط ولا اكتساب دلالة أو فقدانها، وفي ما يلي أبرز مناحي الانزياح الدلالي:

1- **المعنى الإضافي:** ذكر Nida أن اللفظ إذا خرج عن معناه المعجمي فإنه ينحرف إلى معنى إضافي [9]، وذهب Leach [10] إلى ما ذهب إليه Nida، وهذا يعني أن المعجم رجل إحصائي، يقوم بوضع جميع المعاني المحتملة للفظ الواحد، وهو ما يقيد اللفظ في مساحة معينة لا ينحرف، أو يرتقي، أو يسفسف، وهذا أيضاً يضع مساحة قليلة للمجاز، ومن المعلوم أن المجاز شطر الحقيقة، بيد أن المعنى الإضافي ليس له صفة الثبات، لأنه يتغير بتغير الزمن وثقافة المجتمع، والنواحي النفسية عند الشخص نفسه، فأنت لو قلت: امرأة مثلاً فهي ذات مدلول عام على جنس النساء، فلا انحراف في هذا اللفظ ولا ارتقاء أو انخفاض، ولكن السؤال هو ما هي ثقافة السامع عن هذه الكلمة؟ أو قل ماذا يعني هذا اللفظ عند السامع؟ وهل يستوي جميع السامعين في ثقافتهم وتوجهاتهم المختلفة في هذا اللفظ؟ لنرى: هب أنك قلت: امرأة وأنت في دائرة الأحوال المدنية. فالمتبادر إلى الذهن هو قيد نفوس لمؤنث مثلاً، ولو قلت: امرأة أمام فقيه، فإنه يضع تحتها معانٍ من مثل: متزوجة، أو بالغة، أو طليقة، أو أرملة، ونحوها لأنها جوانب تهمه في المرأة، وأما جمهور الشباب والمراهقين فقد يضعون تحت هذا اللفظ معانٍ من مثل: جميلة، سمراء، قصيرة، طويلة، وقس على ذلك جماعات لغوية أخرى في الإعلام والمختبرات الطبية مثلاً، وما دام أن لفظ امرأة قد خرج عن كونه يعني جنس النساء أو عكس رجل، فهو انزياح دلالي، قامت به جماعة لغوية لأسباب مختلفة، وفي ذلك ما قد يشكل قلباً للواقع.

2- **المعنى الأسلوبي:** وهو النوع من المعنى الذي يعتمد على الوسط الاجتماعي والجغرافي المحيط بالمتكلم والسامع، ودرجة العلاقة بينهما، ومستوى اللغة المستخدمة: أدبية، رسمية، عامية، مبتذلة، ونوع اللغة: شعرية، نثرية، لغة قانون، لغة إعلان وهكذا، وهذا يعني بمجموعه أن لكل جماعة لغوية عدداً من المفردات أكثر دوراناً من غيرها، ومن الممكن أن تكون الكلمة في جماعة لغوية ما، تعني شيئاً آخر في جماعة لغوية أخرى، ففي المجال العسكري تطلق كلمة "سيّدي" من الرتبة الأدنى إلى الرتبة الأعلى، إذ لا تجوز غيرها في المخاطبة، بينما في الجماعات الأخرى تطلق كلمة "سيِّدي" من قبيل يا رجل، أو يا فلان، ونحوها، وأما في القضاء مثلاً، فيطلقها الشاهد أو المتهم، أو محامي الدفاع، أو محامي الخصم، لأن القاضي صاحب الشأن والقرار في الحكم الصادر عنه، وتصبح لدينا في النهاية انحرافات دلالية لعدد من الكلمات التي استخدمتها جماعات لغوية، غير الجماعة اللغوية صاحبة المنشأ لهذه الكلمة، وفي منحى أسلوبي آخر تنحرف الدلالة بحسب نغمة الصوت، وشدته، ودرجة الانفعال، فقد يخرج

لفظ محترم بنبرة معينة ليعني مهاناً أو ذميماً، وقد يخرج لفظ "صادق" ليعني كاذباً، وهذا كله بحسب أسلوب التعبير.

3- **المعنى النفسي:** ويشير إلى ما يتضمنه اللفظ من دلالات عند الفرد نفسه ولا يندرج على غيره، [11] كثيراً ما نقول في حياتنا اليومية: الفقير لا يحب سماع سيرة الأغنياء والأثرياء، والمحروم لا يحب سماع قصص الترف ورغد العيش، والعقيم لا تتحدث أمامه عن البنين والإنجاب، وهكذا المريض، وذو العاهة، وهذا في حقيقة الأمر لا يشكل انحرافاً في الدلالة بحسب الأصل، ولكن الذي يتلقى كلمات تثير دافعيته تجاه شيء يفقده، هو الذي يحرف الدلالة بحسب وضعه النفسي، فيثار الاشمئزاز عند الفقير إذا حدثته بسيرة الأغنياء، والحزن عند العقيم إذا حدثته بسيرة الإنجاب أو البنين والبنات وهكذا، ولكن ليس بالضرورة أن تنحرف الدلالة عند كل الفئات التي تعاني من مشكلات نفسية بسبب فقدانهم نوعاً من مستلزمات الحياة وضروراتها.

4- **المعنى الإيحائي:** ويقوم هذا النوع من المعنى على كلمات يخرجها المتكلم بطريقة تقود إلى المعنى بتأثيرات صوتية أو صرفية أو دلالية، فمن جهة الصوت يمكنك الإيحاء إلى المخاطب بالمعنى باستخدام الصوت الدال على المعنى، كالصليل للسيوف، والخرير للماء ونحوها، ومن جهة الصرف يمكن الإيحاء بالمعنى من خلال الكلمات المنحوتة كما في "بسمل" من بسم الله الرحمن الرحيم، و"حمدل" من الحمد لله، و"حوقل" من لا حول ولا قوة إلا بالله، وأما التأثير الدلالي فيتم باختيار اللفظ الذي يقرر المعنى، وأكثر ما يحصل ذلك في مواقف تجنب الألفاظ المرعبة أو الخادشة للحياء، ففي أيامنا هذه أصبح التعبير الدال على مرض السرطان من مثل: كتلة غريبة، ورم، غدد، انتفاخات وهكذا تجنباً لوقع هذا المرض في نفس المريض، وفي حالات استدعاء تعبيرات دالة على الجنس فإنه عادة ما نختار الألفاظ الدالة على المعنى بما لا يخدش الحياء من مثل: وطء، لقاء، خلوة، وحتى التعبير عن اللقاء الجنسي المشروع له تعبيرات كثيرة وردت في القرآن الكريم من مثل: "ولامستم" – "المعاشرة" – "الميثاق الغليظ" – "باشروهن" – "فأنكحوا" وتجد في اللغة العربية أن الدوال التي تشير إلى اللقاء المشروع بين الزوجين تختلف أفعالها عن الدوال التي تشير إلى اللقاء غير المشروع، وفي ما يلي أمثلة ليست حصرية لما يشكله المعنى الإيحائي من انحراف دلالي، ففي النحت إذا قلت: "حوقل" دالة على لا حول ولا قوة إلا بالله، فالأصل في "حوقل" أنها منحوت رباعي، ويندرج عليها ما يندرج على الرباعي مجرداً أو مزيداً، أو مضعفاً، فهي أولاً وأخيراً فعل، لكن الأمر المختلف في منحوت الرباعي أنه انحرف في دلالته ليدل على صيغة مستمدة من جملة اسمية، أو فعلية فـ "بسمل" من بسم الله الرحمن الرحيم و"حمدل" من الحمد لله رب العالمين، و"حوقل" من لا حول ولا قوة إلا بالله، و"جورب" من لبس الجوارب، وفي الصوت إذا قلت: تخّ، وبخّ، وأيخ، فهي أسماء أصوات لزجر الحيوانات، قد انحرفت إلى ابتعد، أو تنحَّ، أو اهرب، وفي ذلك انحراف دلالي من اسم الصوت إلى الفعل السلوكي الدال عليه لأن اسم الصوت لا يخضع لقوانين الصرف والاشتقاق، وفي تجنب وقع دلالة بعض الألفاظ الجنسية كما في "لامستم" – "باشروهن" فالأصل في لامستم أنها مستمدة من لمس، والأصل في "باشروهن" أنها باشر أي بدأ، أو بادر، ولكن لأن لمس وباشر تقبل الجنس وغير الجنس، فكأنما أصبح للفظ دلالتان دلالة صارفة عن المقصود، لا تخدش الحياء، وهي بعيدة عن متناول الطبقة البسيطة ودلالة مقصودة حقيقية يدركها أهل الاختصاص مهما صرفت الدلالة أو حجبت، فالانزياح في لامس، وباشر أنها تقبل الجنس وغير الجنس.

المحور الثاني: الانزياح في النصوص الشرعية

أ- في القرآن الكريم:

استخدم القرآن الكريم لغة معجزة مابين الحقيقة والخيال، وبين الإطناب والإيجاز، والمباشر والانزياح بغية ترسيخ المعنى من جهة، ومن جهة أخرى أن القرآن معجزة تحدى الله بها فصحاء العرب وبلغاءهم، وفي ما يلي أمثلة ليست حصرية في القرآن الكريم لعدد من الانزياحات.

1- -{ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ* يَسْمَعُ آياتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [12] جاء الانزياح من جهة "فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" لأن البشرى تقع في الإيجاب، وفي الآية جاءت البشرى بالسلب، لأن المقصود بالخطاب في حال من السخرية والاستهزاء به يستحق ذلك.

2- -{ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } [13] فذكر عزيز وكريم، لا يتناسب مع أصل اللفظ لأن ذلك يقال: لمن هو عزيز وكريم بإيمانه بالدعوة وتصديق الرسل، ولا يقال للمكذبين، ثم إن "عزيز وكريم" لا يتناسب مع "فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ" لو لا أن في الأمر انزياحاً دلالياً.

3- -{ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى } [14] والأمر هو هو فالتيسير يكون في اليسر على غرار الآية المتقدمة، وأما أن يكون التيسير للعسرى، ففي الأمر انزياح كبير بغية التهكم والسخرية من المقصود بالخطاب وهم الكافرون.

4- ومثل ذلك ذكر القرآن الكريم "فَبَشِّرْهم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ"[15] فالبشرى في الإيجاب، والانزياح في الآية الكريمة أن البشرى جاءت في السلب، ففي ما تقدم ذكره في الآيات المتقدمة كان هناك انزياح للتحقير والمبالغة في توضيح المعنى.

ب- في السنة النبوية الشريفة: قال صلى الله عليه وسلم: "إن كان الشؤم في شيء ففي المرأة والسكن والفرس" [16]

قال أهل العلم: في الحديث معنى ظاهر، غير مقصود، ومعنى غير ظاهر وهو المقصود، واختلف أهل العلم في تأويل الحديث، وكان جمهور العلماء ميالاً إلى أن المرأة والسكن والفرس ليست في الأصل مصادر شؤم كما ظهر في الحديث، لكن الحديث لابد من رده إلى ما تراه العرب في المرأة والسكن والفرس، فقد أولع العرب بالمرأة من حيث إكسابها نعوتاً لا نظير لها في الثقافات الغربية، والسكن كان علامة ثراء إذا كان مقاماً بالحجارة لا بالخيام كما كانت عليه الغالبية العظمى، وأما الفرس فكم تغنوا بها، ومدحوها، بل وعابوا من لا يحسن مدحها، وهذا بمجموعه لا يستوي مع ظاهر حديثه صلى الله عليه وسلم، إلا أن يكون مراده: أن المرأة، والسكن، والفرس خير مصادر لطمأنينة الإنسان، فإن دخل الشؤم في نفس الإنسان فإنه يتشاءم من خيرة ما يطمئن إليه، وهو المرأة والسكن والفرس، فجاء الانزياح في دلالة الحديث من الظاهر إلى المراد الخفي لتعظيم المرأة والسكن والفرس في النفس، وتحقير شأن التشاؤم لأنه يجعل الإنسان لا يطمئن إلى شيء في حياته فجاء هذا الانزياح مرسخاً ومعظماً لهذه الحقيقة.

وقوله صلى الله عليه وسلم: **"فهل أنتم تاركوا لي صاحبي"**[17] الحديث يروي قصة طريفة، تتحدث فصولها عن حوار دار بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فأغضب أبو بكر عمر، فخرج عمر غاضباً ثم لحقه أبو بكر يسترضيه، ويطلب منه المغفرة، فرفض عمر وأعرض عن أبي بكر، فجاء أبو بكر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يقُص عليه الأمر، وكان في المجلس أبو ذر، فقال ثلاثاً: يغفر الله لأبي بكر، ثم جاء عمر، وتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه لم يهن عليه أن يغضب أحد أبا بكر، وبدأ يذكر مناقب أبي بكر في الإسلام إلى أن قال: فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ فخجل عمر، من الحادثة، ثم قال أبو بكر: أنا أخطأت في ثلاث لكن الحكم سبق بأن أبا بكر غير مدان.

فالانزياح في لفظ **"فهل أنتم تاركوا لي صاحبي"**، فالظاهر اتركوا لي أبا بكر وأنا اتصرف معه، بما أراه مناسباً، بيد أن المراد أن أبا بكر صاحب فضل وشأن في الإسلام اتركه ولا تقف عند صغائر الأمور يا عمر، فهو غير مذنب، فكم ترك هذا الانزياح من مساحة في المعنى، يعجز القلم عن الإحاطة به ايجازا بليغا.

وللفعل ترك في اللغة دوران عجيب، فترك تعني هجر، وعاف، وخلع، وترفع، وابتعد، ورحل، وأبقى، وودع، ولكن ترك التي وردت في الحديث لا تعني شيئاً مما ذكر، فقد انزاحت إلى استأثر، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث – وقصته طويلة – لما بدأ يذكر مناقب أبي بكر، ويكرر ثلاثاً ثلاثاً، فكأنما يريد أن يقول: قد استخلصت أو استأثرت أبا بكر لنفسي، فمن آذاه آذاني.

المحور الثالث: عوامل الانزياح في الدلالة

أ- عوامل داخلية من طبيعة اللغة:

منذ كان هناك لغة كان هناك دلالة، وتغير دلالي، وتطور دلالي، وانزياح دلالي، ومولد ألفاظ، وهجران ألفاظ، لكن ذلك كله يضيق ويتسع بحسب طبيعة اللغة، والملكة اللغوية عند الإنسان فقد تحدث الجاحظ عن تغيرات دلالية تطرأ على اللغة، [18] ولكن من غير لفظ "انزياح" لأن " انزياح" مصطلح لغوي حديث، ثم تحدث عبد القاهر الجرجاني عن اكتساب الألفاظ معانٍ جديدة [19] وهو المعادل للتطور الدلالي، أو الانزياح الدلالي، وفي لفتة مبكرة جداً عن الانزياح من غير تسميته انزياح، فقد قال عبد القاهر الجرجاني: ومن الصفات التي تجدهم يجرونها على اللفظ، ثم لا تعترضك شبهة ولا يكون منك توقف في أنها ليست له ولكن لمعناه، [20] وهو المعادل تماماً للانزياح ومعنى كلامه أن دلالات الألفاظ تنحرف عن معانيها الأصلية، ولكن الجرجاني كان إذا تحدث عن البلاغة يخرجها بثوب النحو، والعكس، فكان يقدم ركناً من الكلام في النحو، ويحذف ركناً مقدراً بدواعي بلاغية، فكثيراً ما كان يذكر ظاهر اللفظ، ويراد به غيره بمسميات مختلفة، ليس الانزياح من بينها لأن مصطلح "انزياح" حديث، وقد أشار إبراهيم أنيس إلى ظاهرة التطور الدلالي من خلال رحلة الألفاظ عبر العصور، ولكن همه كان في اللفظ وليس في المعنى، [21] والشيء نفسه عند أحمد مختار عمر بذكره تطور دلالي، أو تغير دلالي من غير ذكر انزياح[22]، ثم ذكر جسبرسون وهمبلت: أن الألفاظ تنحرف عن معانيها وهو مبدأ في اللغات بشكل عام [23] هذا قول نؤيده، ولكنه لم يشر إلى طبيعة اللغة في ذلك من حيث غناها أو فقرها في المفردات، والمجازات، وقدرتها على التوليد في الألفاظ والمعنى، وهو روح الانزياح، ثم جاء بلومفيلد برأي حاد أخرج فيه الدلالة برمتها إلى حقل الأنتروبولوجيا ولا علاقة لها باللغة.

ثم جاء عدد من اللغويين مثل: هوكيت، وهول، وحاولوا أن ينتصروا للمعنى بذكرهم أن الألفاظ تنحرف عن معانيها الأصل [24]، في إشارة يفهم منها المعادل لمصطلح "الانزياح" وذكر Hartmann and Fc stork أن الدلالة الاجتماعية لها دور في انحراف الدلالة، [25] في حين أجمع هؤلاء: ابن المعتز (ت: 296هـ) وابن طباطبا (ت: 322هـ) وقدامة بن جعفر (ت: 337هـ) وابن رشيق القيرواني (ت: 463هـ) وابن سناء الخفاجي (ت: 466هـ) والزمخشري (ت: 467هـ) والفخر الرازي (ت: 544هـ) والسكاكي (ت: 555هـ) والخطيب القزويني (ت: 739هـ) وسعد الدين التفتاوي الشافعي (ت: 792هـ) على أن الحكم في أي انحراف عن المعنى الأصل هو السياق، [26] والانزياح هو انحراف عما ينبغي أن تكون عليه الأمور سواء أسمي هذا الانحراف انزياحاً أم لم يسمَّ.

ب- عوامل خارجية:

ويقصد بها إكساب الألفاظ معانٍ إضافية بتأثيرات مختلفة، ويمكن تلخيص هذه العوامل بما يلي:

1- الوظيفة الاجتماعية للغة: ومن أنصار هذا الاتجاه كل من: Firth، MitchellK، Mcintosh Halliday، وتتلخص فكرتهم في أن معنى الكلمة هو مجموع ما يمكن أن تخرج إليه من معانٍ، وهذا يشمل الحقيقة والمجاز والانزياح، فكلمة "بشرى" مثلاً التي وردت في سياق "فبشرهم بعذاب أليم" قد انزاحت إلى السلب، والأصل أن تقع في الإيجاب، فجاء الانزياح، ليخدم غرضا بلاغياً في مجتمع عرف فنون البلاغة وأشكالها، وأساليب اللغة في التعبير، فأدرك المقصود بالخطاب ما في الآية الكريمة من سخرية، ومبالغة في ترسيخ المعنى فوق ما يكون

من المعنى الظاهر، وقد تحدث عبد القاهر الجرجاني كثيراً عن إطلاق اللفظ المقصود به غيره [27]، ويقع تحت "المقصود به غيره" ضروب كثيرة من البلاغة، فلو كان لفظ " الانزياح الدلالي" مألوفاً عند عبد القاهر الجرجاني لكان قد سبق اللغويين المحدثين الذين تحدثوا عن الأسلوبية والانزياح بألف عام، ومن طريف ما يذكر أن اليونان قد أخرجوا الألفاظ عن ظاهرها الدلالي إلى النواحي الفلسفية.

وقد التفت إلى ذلك Wittgenstein في كتاب Philosophical Investigation [28] وأما في العصر الحديث، وهو عصر المعاجم فيقول: Ullmanr [29] يلجأ إلى المعاجم التأثيلية أو التأصيلة لكشف مجموع ما يصل إليه اللفظ من معاني، وربما يكون Wittgenstein قد ذهب بعيداً عن الدور الاجتماعي للغة لأن المعاجم لا تعنى بالمجاز، فالاستخدام هو الذي يميز الحقيقة من المجاز، وهو الذي يبين نقطة الأصل ونقطة الانزياح.

ج- القصور اللغوي عند فئة الناس: ويقع ذلك في الآتي:

1- **سوء الفهم:** تسمع كلمة من متحدث ما، وتفهمها بصورة غير مطابقة لمراد المتكلم، ففي الجانب العربي أكثر ما يقع ذلك في المثلثات، وهي مفردات تتفق في البناء الصرفي، من حيث ترتيب الحروف وتختلف حركاتها، وسميت مثلثات لأنها تجمع كل ثلاث كلمات تتغير معانيها حسب حركاتها، ويعني أن الكلمة إذا تغيرت حركة فائها أو عينها فإن ذلك يؤدي إلى اختلاف معناها وانتقالها من معنى إلى معنى دلالي آخر، وفي ما يلي أمثلة لهذه المثلثات بمعانيها الأصلية.

1. السَّلام، السِّلام، السُّلام: فالأولى التحية، والثانية الحجارة، والثلاثة عروق ظاهرة في الكف.
2. الكَلام، والكِلام، والكُلام: فالأولى كلام الناس، والثانية للجرح، والثالثة للأرض الصلبة.
3. الصَّرَّة، والصِرَّة، والصُرَّة: فالأولى للجماعة من الناس، والثانية لليلة الباردة، والثالثة للخرقة.
4. القَسط، القِسط، القُسط: فالأولى للجور، ، والثانية للعدل، والثالثة لما يتبخر.
5. العَرف، العِرف، العُرف: فالأولى لريح العود، والثانية للصبر، والثالثة للمعروف.

وكلمات أخرى كالجَد والجِد والجُد، أو الجَواري والجِوار والجُوار، أو الحَمام والحِمام والحُمام. فكلمات من هذا القبيل قد يحملها السامع على محمل الترادف، فينقل نفسه إلى مشكلة أو قد يأخذ جانباً معيناً لفظياً ولا يأبه بضبط الكلمة عند سماعها للمرة الاولى، فيسمع السِّلام مثلا، ويفهماها السُّلام ويسمع العَرف ويفهمها العُرف، أو العِرف فتحصل عند السامع انحرافات دلالية، أو مشتركات لفظية، أو مشتركات معنوية بعيدة عن الواقع، وفي الإنجليزية يكاد يكون الأمر أعسر بكثير ولا سيما في ما يعرف بـ Synonymous words أي الكلمات المترادفة فالكلمات الإنجليزية (Admit) (In Fact) (Actually) تعني مطابقة، لكن الثانية أكثر ما تأتي بمعنى في الحقيقة والثالثة تعني سماح، وفي النهاية يتم التلاقي في in Fact مع Admit ، والسبب في ذلك أن كلمات الإنجليزية الشائعة اليوم ليست كلها من ممتلكات جذور الإنجليزية، فمنها ما هو لاتيني الأصل أو فرنسي، أو إيطالي أو إسباني، فلا تتلاقى معاني الكلمة في أصل ما من الاصول السابقة مع أصل آخر تلاقياً تاماً لعدم وجود جذر مسيطر كما هو في العربية، فتنحرف الكلمة من جراء سوء الفهم إلى ما يحتمل ولا يحتمل.

2- **سوء الترجمة:** من المعروف أن عدداً من الجوانب اللغوية لا يقبل الترجمة، فالانفعالات مثلاً لا تترجم، وبعض الإيماءات والحركات في اللغة غير المكتوبة لا تترجم، صحيح أن هذه جوانب غير مكتوبة أو ملفوظة، ولكن ذلك كله ربما يفضي في النهاية إلى لغة منطوقة ومكتوبة، فقد ذكر بلومفيلد أن هناك كلمات إنجليزية تتفق في اللفظ وتختلف في المعنى [30] كما في So، Sew، Sow فالأولى لانسياب الماء، والثانية للخياطة، والثالثة لذكر السبب، وربما جاءت الأولى بمعنى أنثى الخنزير، فهب أن Sow ترجمت مرة بمعنى الخياطة، ومرة بمعنى أنثى الخنزير،

وهذا أكثر ما يحدث عند أشخاص غير متمكنين في اللغتين المترجم منها والمترجم إليها، ألا يؤدي ذلك إلى انزياحات ومفردات اعتباطية؟

3- **الاختصار المفرط:** وأكثر ما يقع ذلك في اللغة الإنجليزية فكثيراً ما تلجأ اللغة الإنجليزية إلى الاختصار في الكتابة الرسمية، وتزداد المشكلة إذا كان الأمر يتعلق بغير المنظومة اللغوية، فمثال ذلك إنك لا تدري من هو: C. k في قولك C. K. ogden وC. Kstork ، ولا تستطيع في مجال الأدب التمييز بين "comp. lit "وهو اختصار لـ: comparative Litterature أي الأدب المقارن و "comp. lit" وهو اختصار لـ: comparative white company clittle بمعنى أسماء شركات كبرى في لندن، ومما يذكر أن عدم التطابق بين اللفظ والكتابة في مناحي كثيرة في الإنجليزية، مشكلة أوقعت أهل الإنجليزية والمتعاملين بها في مشكلات، والقادم منها أسوء مما مر.

الخاتمة

الأصل في دلالة الألفاظ أن تكون على ظاهرها، وقد ينحرف اللفظ عن ظاهره إلى المجاز، لعلاقة مشابهة في أمر ما، أو لدلالات متباينة شتى، ويأتي الانزياح الدلالي أحد مكونات الانحراف عن الظاهر، وهو يتسع أو يضيق بحسب طبيعة اللغة وغناها في المفردات وأساليب بلاغتها وفنون كتابتها، وللناحية الاجتماعية والبيئة الجغرافية أيضا عامل رئيس في مقدار الانحراف، فالانزياح الدلالي متوالد يشبه تولد المفردات وما يعتريها على مر الأزمان، من رقي، وانحطاط وفقدان مفردات، أو اكتسابها على مر العصور.

النتيجة

الانزياح الدلالي ظاهرة طبيعية في اللغة، تقوم على انحراف وظيفتها وفق معطيات السياق، ونشأ مع اللغة منذ نشأتها.

ويؤثر بها السياق وفق استخدام المفردات من جوانب متعددة وتأثيرات كثيرة، فالناحية الاجتماعية والبيئة المحيطة وحال المتلقي والمتكلم، وغيرها من متعلقات القاعدة البلاغية لمحدد مستوى البلاغة (لكل مقام مقال)، الأسباب التي قد تؤثر على الفهم وبيان دلالة الألفاظي سياقها المتغير، وفي انتاج دلالات المفردات وفقا لذلك. فاللغة أداة تواصل تتمثل سياقاتها وفق مقتضى الحال ومتطلباته.

الهوامش

(1) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط2، 1978، ص 52، 55، 62، 280، 281، 346، 356، 434.

والمراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، د. ط، 2008، ص 31 _ 36.

(2) Bloom Field – Language. London – 1962. p. 36

(3) Nida ،componential ،Analysis of meaning ،mouton. 1975. p. 130

(4) عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، بيروت، ط5، 2014، ص 11.

(5) السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة الفكرة، صيدا، بيروت، ط1، 2009، 17/1.

(6) ابن جنى، أبو الفتح، عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الفكر، دمشق، ط1، 1961، 37/3

(7) الجاحظ، عمرو بن عثمان بن بحر، معجم ألفاظ الجاحظ، وزارة الثقافة العراقية، دار الرشيد، بغداد، ط1، 1982، ص119 – 124، بتصرف.

(8) عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، مرجع سابق، ص14، والرماني، أبو الحسن علي بن عيسى بن عبدالله، الألفاظ المترادفة المتقاربة في المعنى، عالم الكتب، بيروت، ط4، 2016، ص 40.

(9) E - Nida ،componential ،Analysis of meaning ،mouton. 1975. p. 130

(10) G – Leach ،Semantics ،penguin Book ،1974. p. 10.

(11) نوال عطية، علم النفس اللغوي، الإنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1975، ص 77.

(12) سورة الجاثية: الآية رقم: 9

(13) سورة الدخان: الآية: 49

(14) سورة الليل: الآيات من: 5 – 10

(15) سورة الانشقاق: الآية رقم: 24

(16) البخاري، محمد بت إسماعيل، صحيح البخاري، من رواية أبي ذر، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط7، 1994م، 561/5، حديث رقم 2858.

(17) البخاري، حديث رقم 3661، مرجع سابق.

(18) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبين، تحقيق: فوزي العطوي، دار صادر، بيروت، ط3، 1978، ص 53.

(19) الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص73، 202، 356.

(20) الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص206.

(21) إبراهيم، أنيس، دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص 68.

(22) عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، مرجع سابق، ص 140.

(23) إبراهيم، أنيس، دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص18.

(24) نوافلة، محمود، علم الدلالة، مكتبة غيداء للنشر، عمان، ط1، 2022، ص19

(25) Hartmann and Fc stork ،Dictionary of Language and linguistics ،England ،1972 ،p. 54.

(26) إبراهيم، أنيس، دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص 48.

(27) الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص 52، 62، 69، 233، 280، 295، 312، 329، 343.

(28) C. Brochelmann ،Geschich der arabischen ،Litterature. Leiden. 1944. p. 130

(29)J. R. Searlc. Meaning and speech Acts. P. 154.

(30) A. J. Arbetrery ،synonym and homonyms in the Islamic quarterly- vde. 13-3. 1969. P. 4

قائمة المراجع العربية

1- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، الإنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1984.
2- ابن جنى، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دمشق، دار الفكر، ط1، 1961.
3- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط7، 1994م.
4- الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبين، تحقيق: فوزي العطوي، دار صادر، بيروت، ط3، 1978.
5- الجاحظ، عمرو بن بحر، معجم ألفاظ الجاحظ، وزارة الثقافة العراقية، دار الرشيد، 1984.
6- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1978م.
7- الرماني، أبو الحسن، علي بن عيسى بن عبدالله، الألفاظ المترادفة المتقاربة في المعنى، عالم الكتب، بيروت، ط4، 2016.

8- السيوطي، جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة الفكرية، صيدا، بيروت، ط1، 2009.
9- عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، بيروت، ط5، 2014.
10- المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط، 2008م.
11- نوافلة، محمود رجاء حسن، علم الدلالة، مكتبة غيداء للنشر، عمان، ط1، 2022.
12- نوال عطية، علم النفس اللغوي، الإنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1975.

قائمة المراجع الأجنبية:

1- J. Arbetrery ،the Islamic quarterly ،pub. 1969.
2- Bloom Field – Language ،London ،1962.
3- Brochelman Geachich der arabischen litterature. Leiden. 1944.
4- G. Leach ،semantics ،Penguin Book ،1974.
5- Hartmann and F. c. stork Dictionary of Language and Linguistics ،England ،1972.
6- J. R. Searle ،meaning and speech Acts ،Pub. 1969.
7- Nida ،compenental Analysis of meaning. Mouton ،1975.